الشاهين

صفاته وسلالاته

الشاهين من صقور الفئة الثانية من فئات الصقور الكبيرة، وهو عند البيازرة القدامى بعد النسر والعقاب، من أكبر ذوات الريش حجماً، وهو من جنس الصقر، إلا أنه أيبس مزاجاً. وهو ينقض على صيده من غير تحويم. والشاهين أرق من الباشق مزاجاً، وأقل من الصقر صبراً على الكدّ، وأدنى منه فراهةً. واسمه بالفارسية شوذانة وقد عرِّب على ألفاظ شتى منها شوذانق، وشوذق، وشوذنيق، وشيذنوق. وقد وردت هذه الأسماء كلها في المخصص لابن سيده بالسين بدلاً من الشين.

وللشواهين عند البيازرة القدامى أسماء تختلف باختلاف الحالة التي صيدت فيها. فما صيد منها في أوكارها قيل لها الغطاريف الوكرية، وما صيد منها حين تطير قيل لها المتنقلة، وما صيد منها بعد أن اكتملت وصادت قيل لها البدرية، وما صيد منها وقد أُمطرت قيل لها الممطورة، وما صيد منها وقت الهياج قيل لها الرواجع. والشواهين منها البحرية وهي

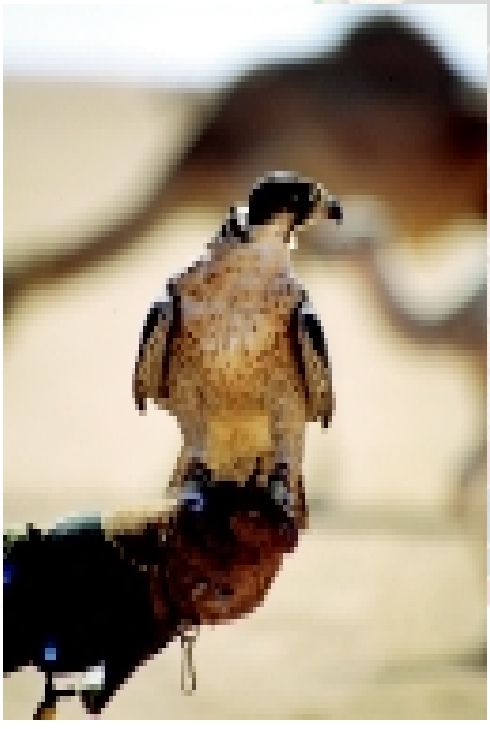

الشاهين

فرخ شيهانة بحرية كامل يمتاز بالسرعة والشدة

التي تفرخ في ناحية البحر، وتمتاز بعِظَمِها وبياض ما اعتّمت به رؤوسها من الريش، كما تمتاز بكثرة ريشها ورقة ألوانها. ومنها ما يقال له الكوستانيات، وهي على خلاف البحرية من حيث لطف حجمها وحمرة ريش رؤوسها وقلّته، وغلظ ألوانها. والشاهين يكون إسبهرج اللون، وهو الذي يغلب عليه البياض، ويكون أحمر وأسود، والأسود هو البحري الخالص، والحمر تكثر في الأرياف والمواضع السهلة. أما الشهب فتكثر في الجبال والبرية (الباشا ١٩٨٣: ١٨٨).

والمختار من صفاتها، فيما ذكره صاحب المصايد والمطارد الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة، واسع العينين حادهما، سائل السفعتين، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب العقدة في القفار، طويل الجناحين، قصير الذنب، سبط الكف، غليظ دائرة الخصر، قليل الريش لينه، تام الخوافي، ممتلئ العكوة، رقيق الذنب، إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنهما شيء من ذنبه. وأهل الإسكندرية يزعمون أن السود منها المحمودة، وأن السواد هو أصل لونها، وإنما انقلبت إلى لون البراري فحالت. والحمر منها تكون في الأرياف والمواضع السهلة، والشهب في الجبال والبراري، ولا يصيد منها الكركي والحبرج إلا البحرية (القلقشندي١٩٨٧، ج٣: ٦٤). وقال بعضهم: الشاهين كاسمه، يعني كالميزان المسمى الشاهين، فإنها لا تحمل أيسر حال من الشبع، ولا أيسر حال من الجوع، بل حالها معتدل كاعتدال الميزان.

وقد ذكر العلماء بالجوارح من البيازرة، أن الشواهين أسرع الجوارح كلها، وأشجعها وأحسنها تقلباً في الجو، وأجودها إقبالاً وإدباراً وراء الطريدة،

وأشدها ضراوة على الصيد، إلا أنهم عابوها بالإباق، وبما يعتريها من شدة الحرص على الطريدة، مما يجعلها تضرب بأنفها على ما غلظ من الأرض فتموت. والشاهين إذا أبق مرة، وبات ليلة بعيداً عن صاحبه لم ينتفع به بعد ذلك، لأنه متى اعتاد الهرب لم يقلع عنه أبداً، ولذلك دعي بالآبق. وإذا احتاجت الشواهين إلى الطعام ولم تجده، فلربما قتلت نفسها، لأنها كثيرة الغضب سريعة الحدة والنفور (الباشا ١٩٨٣: ١١٨).

وقال الدميري عن الشواهين إنها من جوارح الطير عدو الحمام، إذا رآه الحمام يعتريه منه ما يعتري الشاة من الذئب والفأر من الهرة، والحمام أسرع طيراناً منه، إلا أنه إذا رآه ضعف عن الطيران خوفاً، وإذا رأته السلحفاة تتقنع وتعطيه ظهرها، ولا يعمل منقار الشاهين فيها، فيحملها الشاهين، ويصعد بها نحو السماء، ويرميها على حجر صلد لتتكسر فيأكلها (وهو زعم غير معقول). وإذا مرض الشاهين أكل الدراريج فيزول مرضه.

والشياهين عند البيازرة القدامى كما جاء في حياة الحيوان الكبرى ثلاثة أنواع: شاهين وقطامي وأنيقي. والشاهين شديد

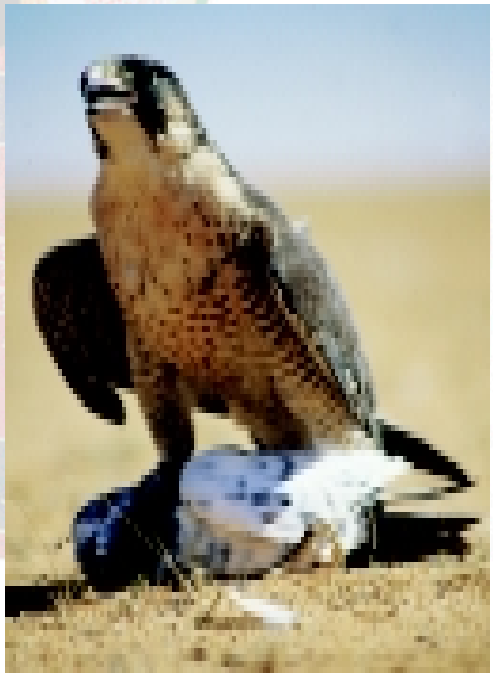

شيهانة بحرية تفترس حمامة

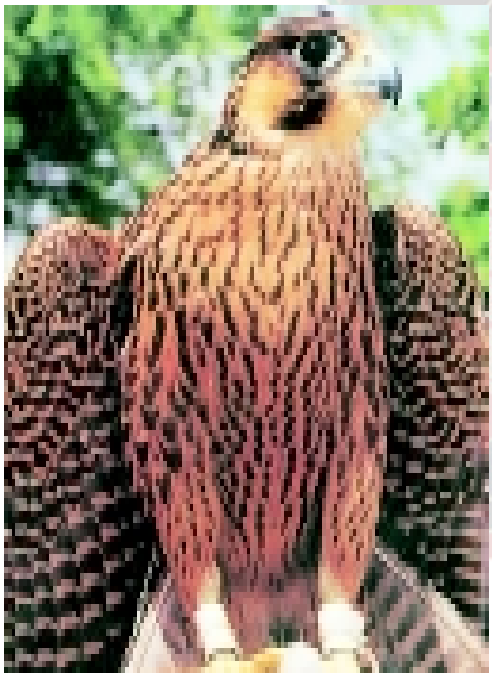

فرخ شيهانة جبلية

الضراوة على الـصيد ولأجل ذلك ربما ضرب بنفـسه الأرض فمات، وعظامه أصلب من عظام سائر الجوارح. والأنيقي يسمـيه أهل العراق الكـرك، وهو دون الشاهين، إلا أن فيه سرعة، وهو يصيد العصافير. وفيه يقول الشاعر:

غَـنِـيتُ عـن الجـوارح بـالأنـيـقي
بمـثـل الـريـح أو طـلـع الـبـروق
أصـب به عـلى الـعصـفور حـتـفاً
فـأرمـيـه بـصـخـرة مـنـجـنـيـق

وأما القطـامي فيسميه أهل الـعراق البهرجة، ويقال إنه في طبع الـشاهين.

شيهانة بحرية على الوكر

وليس من المعروف حالياً على وجه الدقة نوعا الطيور اللذان دعاهما البيازرة القدامى القطامي والأنيقي. إذ إن القطامي لدى الصيادين العرب المـعاصرين هو الصقر الحر، والشياهين لديهم شاهين بحر وهو الذي يأتي إلى الجزيرة العربية مهاجراً، وشاهين جبـل وهو مقيم وبعضه يـأتي مهاجراً أيضاً.

وأول من صاد الشواهين فيما يقال، قسطنطـين ملك الروم، وذلك أنه رأى شاهيناً محلـقاً على طير الماء يصطاده، فأعجبه ما عاين من فراهته وسرعة طيرانه وحسن صيده، فإنه رآه يحلق في طيرانه حتى يـلحق بعنان الجـو، ثم يعود في طرفـة عين فيضـرب طير الماء فـيأخذه قَنَاصاً، فقال: ينبغي أن يصاد هذا الطائر وَيُعلَّم، فإن كان قابلاً للتعليم ظهر منه أعجوبـة في أمر الصيـد. فأمر بصيده وتعليمه. فصيد وعلم وحمله على يده.

وجاء في كـتاب مروج الذهـب أن أول من لعب بالـشواهين، حسب ذكر ارسنجانس الحكيم، هو ملك من ملوك الروم يقال له فسبان نظر يوماً إلى شاهين يهوى منحدراً عـلى طير الماء فيضربه، ثم يسمو مرتفعاً في الهواء، حتى فعـل ذلك مراراً فقال: هذا طير ضارٍ، تدلنا قوة انحـداره على الماء على أنـهً ضارٍ،

وتدلنا سرعة ارتفاعه في جو السماء على أنه طير أبيٌّ ألوف. فلما رأى حسن تكراره أعجبه، فكان أول من اتخذ الشواهين. وقد يكون فسبان هذا هو نفسه قسطنطين الذي أورد اسمه القلقشندي.

ويراوغ الشاهين كثيرا في طيرانه وراء فريسته، إذ إنه يسنح كذا مرة وكذا مرة حتى ينصب على طائر فيقنصه، لذلك سماه العرب ملاعب ظله، أما لفظ الشاهين فهو فارسي معرب. وذكر ابن غفير أن ملوك العرب كانت إذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم، وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة. (القلقشندي ١٩٨٧، ج٣: ٦٤-٦٦). ونقل ابن غفير عن أبي زيد الفهري قوله إنه كان من رتبة ملوك الأندلس اللذارقة، إذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره متجنحة على موكبه، تنحدر عليه مرة، وترتفع أخرى، (يقصد بذلك المغالاة في الوصف لكثرة عددها فكأنها مظلة لعسكره). واستمر الحال كذلك إلى أن ركب يوماً ملك منهم يقال له أزرق، وصارت الشواهين معه على ما وصفنا، فاستثارت طائراً فانقض عليه شاهين فأخذه، فأعجب بذلك الملك، وضرَّاها على الصيد، فكان أول من تصيَّد بها في بلاد المغرب وبلاد الأندلس (المسعودي ١٩٨٦، ج١: ١٩٥-١٩٦).

ويتغذى الشاهين بشكل رئيسي على فرائس من الطيور ويستخدم لذلك عدة طرق، فقد يأخذ فريسته وهي محلقة في الهواء، ويكون ذلك عادة في المناطق المفتوحة وفوق المساحات المائية، ونادراً على أطراف الغابات. ويحدث ذلك في معظم الفرائس. لكنه قد يقنص كلية فوق البحر خلال فصل التزاوج. وأحياناً يقنص فريسته وهي على الأرض، أو فوق سطح الماء. ويرقب فرائسه عادة، وهو محلق في دوائر، أو من فوق مكان مرتفع مثل جرف أو شجرة عالية أو صخرة على سفح جبل، وعندما يبصر فريسةً فإنه يشرع في مطاردتها، ويعلو فوقها، ويُهيئ نفسه للانقضاض السريع عليها، وذلك بأن يطوي جناحيه ويمسكهما بعيداً عن جسمه قليلاً، وينقض على فريسته بسرعة فائقة، قدرها العلماء بأنها تتراوح من ١١٠ إلى ٤١٠كم في الساعة، والأغلب أنها في حدود ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة. وتختلف زاوية الانقضاض باختلاف الظروف المحيطة. وكثيراً ما يفشل في انقضاضه ولا يصيب الفريسة. وتقدر النسبة المئوية لفشل الإناث في انقضاضاتها على الفرائس بحوالي ٧٨٪، والذكور بحوالي ٨٣٪. وفي دراسة تتبع لمدى نجاح انقضاض

التحليق قبل الانقضاض

الطائر في الإمساك بفرائسه، وجد أنه نجح في ١٩ مرة من ٢٦٠ محاولة، أي بنسبة مئوية لا تتعدى ٧,٣٪. ويعتقد بعض العلماء بأن هذه النسبة ظاهرية وليست حقيقية، وأنه كثيراً ما يتظاهر أثناء لعبه ولهوه بالانقضاض على فريسته، ولكنه في الحقيقة لا يقصد أخذها.

وعندما ينقض على فريسته، وينجح في إصابتها فإما أن يقتلها ويمسكها من رقبتها من أعلى وهي محلقة في الهواء، وإما يلقيها على الأرض ويهبط ليأخذها. وأحياناً عند انقضاضه على الفريسة تعلو عنه في الهواء وفي هذه الحالة فإنه ينقلب ويضربها أو يمسكها من أسفل منها. وفي بعض الأحيان يصطاد فريسته في الهواء دون أن ينقض عليها. وأحياناً يطير مندفعا ويخطف فريسته أثناء وقوفها على فرع شجرة، أو على صخرة جرف ناتئة، أو من أعلى أبراج المباني العالية. وقد يعمد إلى اختطاف أفراخ الطيور من أعشاشها، أو يسلب الجوارح الأخرى فرائسها. وقد يقنص الحشرات الكبيرة، وهي طائرة في الهواء. وأحياناً يهاجم أسراب بعض أنواع الطيور محاولاً أن يصيب بعض أفرادها بالإعاقة، لتتوقف عن الطيران وتسقط. وكثيراً ما يختار لذلك الطيور الواضحة، مثل ذوات اللون الفاتح، أو ذوات السلوك المختلف، أو الهزيلة والضعيفة والمريضة. وقد لوحظ قيامه بالصيد في أزواج

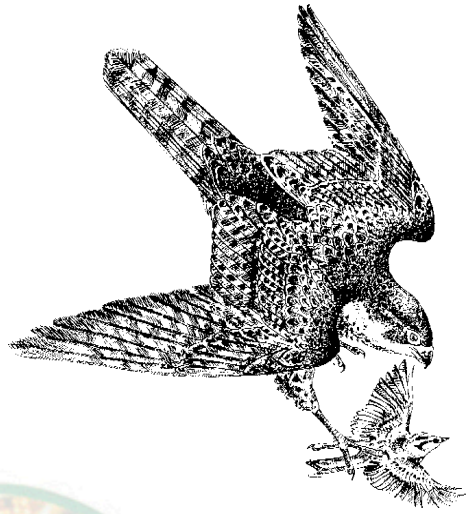

الإمساك بالطريدة في الجو

في بعض الأحايين، وفي معظم الأحيان، يمزق رأس فريسته بضربة قوية من مخلبه الخلفي، تمر برأس الفريسة من مؤخرتها إلى مقدمتها، وهي في العادة ضربة قاضية تكفي لقتل الفريسة وطرحها أرضاً. أما إذا لم تقتلها الضربة فإنه يجهز عليها بتمزيق رقبتها بمنسره، عند نقطة اتصال رأسها بعنقها. وغالباً ينقل الفريسة إلى مكان قريب لتمزيقها ونزع ريشها وأكلها. ويستغرق ذلك عادة بضع دقائق. ويبدأ أولاً في أكل المخ، ثم عضلات الصدر، وأحياناً أمعاءها. وتستغرق الوجبة من ١٠ إلى ٣٠ دقيقة، ونادراً ما تطول لتستغرق ساعة كاملة.

ويختار فرائسة كلية تقريباً من الطيور الحية، التي تختلف أنواعها باختلاف نوع البيئة، ومدى توافرها فيها. وتشمل فرائسه أنواعاً متعددة جداً من الطيور، وصل عددها إلى ١١٠ أنواع من الطيور في بريطانيا، وإلى ٢١٠ أنواع في أواسط أوروبا. وتتراوح في

افتراس الطريدة

أحجامها من العصفور ذي التاج الذهبي إلى الأوز والبلشون الرمادي، وتتراوح في أوزانها من ١٠ إلى ١٨٠٠جم. وفي العادة تقتنص الإناث فرائس أكبر حجماً ووزناً مما تصطاده الذكور.

ومن الأنواع التي يقنصها الحمام الضال والبط والطيور الخواضة والزرزور والسمّان والدراج، والغربان والحجل الأحمر واليمام، ومن الطيور البحرية الأوك والنورس والبفن والفلمار والغلموت. وكما سبق القول فإن العامل الذي يحدد اختيار نوع الفريسة هو مدى توافرها في البيئة. وبشكل عام إذا توافر الحمام، كان هو الفريسة الرئيسية للشياهين، بحيث يشكل من ٢٥ إلى ٤٥٪ من الفرائس التي تقنصها. أما في المناطق البحرية الشمالية، فإن الشياهين البحرية تقنص النوارس وغيرها من الطيور البحرية. وعلى المناطق الأوروبية الساحلية يكثر في فرائسها البط والطيور الخواضة وهكذا.

وفي المناطق الوسطى والشمالية، من قارة أوروبا، قد يقنص الشاهين أنواعاً من الثدييات الصغيرة مثل الأرانب البرية الصغيرة، والأرانب الأليفة، والسناجيب، والزَّبابات، وجرذان الحقل، والخفافيش، ونادراً ما يقنص الزواحف كالسحالي، والبرمائيات كالضفادع والعلاجيم، والحشرات الكبيرة. وفي أوقات الشدة وعدم توافر الغذاء قد يأكل

التطلع قبل الانطلاق

الجيف اضطراراً. ويبلغ متوسط وزن ما تحتاجه الأنثى من الطعام يومياً ١٤١جم، والذكر ١١٣جراماً (للطيور الموجودة تحت الأسر). ويبلغ طول جسم الشاهين من ٣٦ إلى ٤٨سم، طول الذيل منها من ١٠ إلى ١٣سم، وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٩٥سم إلى ١١٠سم. وحجمه في المتوسط أصغر كثيراً من حجم الصقر السنقر أو السنجاري. ومعظم طيوره أيضاً أصغر حجماً من الصقر الحر، لكنه أمتن من كل أنواع الصقور المتوسطة الحجم والكبيرته. وهو صقر متوسط إلى كبير الحجم، منضغط التركيب، قوي جداً، له رأس شديد الصلابة، وجناحان عريضا القاعدة مستدقا الطرفين نوعاً، وصدر عريض، وكفان متسعان، وذنب قصير. وفي الطائر البالغ يكون لون الظهر والرأس قاتماً متجانساً. وله على وجهه علامات مميزة واضحة، يبرز بينها شارب أشد وضوحاً من شوارب الصقور الكبيرة الأخرى. الذكر والأنثى متشابهان. ولا توجد تغيرات فصلية في الشكل.

تزيد الأنثى في الحجم عن الذكر بحوالي ١٥٪، إذ يتراوح متوسط وزن الذكر البالغ من سلالة الشاهين الحقيقي من ٥٨٢ إلى ٧٥٠جم، بينما يتراوح

شاهين ذكر كامل

وزن الأنثى البالغة من ٩٢٥جم إلى ١١٠٠جم. ووزن الذكر البالغ من السلالة كاليدس من ٥٨٨ إلى ٧٤٠جم، والأنثى البالغة من ٩٢٥ إلى ١٣٣٣جم. ومتوسط وزن الذكر البالغ من سلالة بروكاى من ٧٢٠ إلى ٧٥٠جم والأنثى البالغة من ٩٥٠جم إلى ١١٠٠جم.

ويسقط الشاهين ريشه كاملاً في الطبيعة بعد فصل التزاوج حيث يبدأ ذلك في طيور المنطقة القطبية خلال شهري يونيو ويوليو، ويسقط الريش خلال الشتاء من

شهر فبراير إلى شهر إبريل، أما طيور المنطقة الأوروبية الغربية، فتسقط ريشها مبكراً عن ذلك خلال شهري إبريل ومايو، ويسقط الريش خلال الفترة حتى شهر سبتمبر إلى شهر نوفمبر. وتبدأ الأنثى في إسقاط ريشها بالريشة رقم ٤ من القوادم، وذلك عادة بعد قيامها بوضع البيضة الثالثة، ويبدأ الذكر في إسقاط ريشه بعد فقس البيض. وتتساقط القوادم على الترتيب التالي: (٤-٥-٣-٦-٧-٢-٨-١-٩-١٠) ويبدأ تساقط ريش الذيل بعد سقوط الريشة رقم ٤ من القوادم بفترة من ١٠ إلى ٤٧ يوماً، ويتساقط ريش الذيل على الترتيب التالي (١-٢-٣-٦-٤-٥). ويكتمل تساقط ريش الذيل قبل اكتمال تساقط ريش القوادم. ويستبدل ريش الجسم أثناء فترة تساقط ريش القوادم، وأحياناً تبقى بعض الريشات القديمة دون أن تسقط خاصة على الرأس والظهر. ويكتمل إسقاط جميع الريش خلال فترة من ١٢٨ إلى ١٨٥ يوماً.

وهناك عدة سلالات من الشاهين، منها الثلاث سلالات المعروفة في المنطقة العربية وهي: سلالة الشاهين الحقيقي؛

شاهين ذكر بالغ من سلالة «كاليدس»

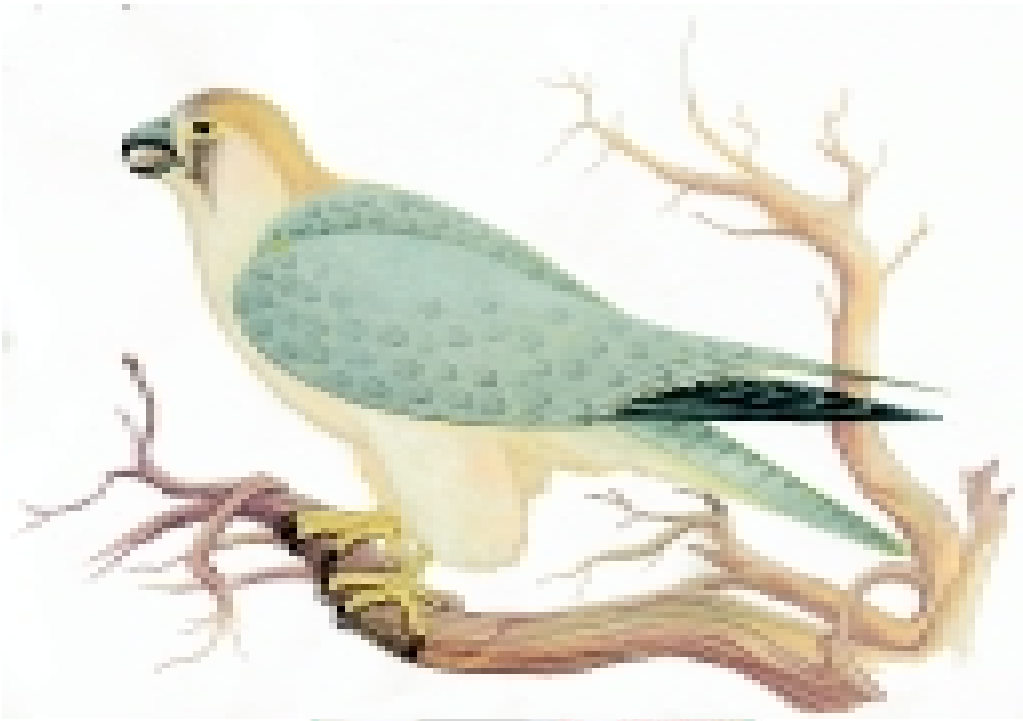

ذكر شاهين بروكاي بالغ

وسلالة شمال سكاندينافيا وروسيا (كاليدس)؛ وسلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا (بروكاى). ويكون لون الظهر أزرق رمادياً داكناً في الذكر البالغ من سلالة الشاهين الحقيقي، وهو المعروف في منطقة الخليج العربي بالشاهين الأحمر، وفيه تخطيط خفيف مسود على الظهر، وعلى كواسي الجناحين، ويكون أكثر وضوحاً على الذيل ذي اللون الرمادي الفاتح. قمة الرأس زرقاء رمادية اللون، وكذلك أعلى الخدود. ويوجد شارب عريض، يظهر بوضوح من خلال اللون الأبيض لأسفل الخدود والحلق. والسطح البطني مخضب بلون أصفر برتقالي، يكون أكثر دكنة على البطن. وتوجد نقط سود دقيقة متناثرة على الصدر، تنتظم في خطوط على السطح السفلي لباقي الجسم، وخاصة تحت الجناحين اللذين يظهر فيهما التخطيط بوضوح، وتظهر الكواسي أدكن لوناً من ريش الطيران. وتحت الذيل أيضاً مخطط، ويكون الخط قبل الأخير عند طرف الذيل أعرض من باقي الخطوط. وفي الأنثى البالغة

يكون التنقيط أكبر حجماً على السطوح البطنية لها، ونقاط الصدر أدكن لوناً، والتخطيط أعرض على الكفين والفخذين، مما هو عليه في الذكر، ولون الكفين أدكن. وتزن الأنثى ما بين ٧٥٠جم و ١١٠٠جم.

وتستوطن سلالة شمال سكاندينافيا وروسيا قارة أوروبا شرقاً إلى شمال روسيا، وجنوباً إلى البحر الأبيض المتوسط والقوقاز. وفي طيور سلالة شمال اسكاندينافيا وروسيا (كاليدس) يكون كل من الذكر والأنثى أطول قليلاً، وأثقل بحوالي ١٥٪، مما هما عليه في سلالة الشاهين الحقيقي. ويكون لونهما أكثر رمادية، خصوصاً على السطح الخارجي، وأقل تخطيطاً على السطح البطني. أي أن طيور هذه السلالة تكون أفتح لوناً في العادة من طيور السلالة السابقة. وتستوطن طيور هذه السلالة المنطقة من شمال روسيا إلى شمال سيبيريا وشمال اسكاندينافيا، وتهاجر شتاءً إلى مناطق شرق أفريقيا.

ويقل حجم الطائر في سلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط وجنوب غرب آسيا (بروكاي) بحوالي ٥٪ عن حجم الطائر من سلالة الشاهين الحقيقي، و ٢٠٪ عن حجم الطائر من سلالة شمال اسكاندينافيا وروسيا كاليدس وهي أدكن لونا منهما بشكل عام، مع وجود لون صدئ محمر على صدورها ورقابها، وتخطيط ثقيل جداً على بقية أجزاء السطح البطني، وتوجد نقاط أو خطوط صدئة محمرة (حنائية) على القفا (مؤخرة العنق). وتستوطن طيور هذه السلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط حيث تنتشر جغرافياً من جنوب أسبانيا وشمال المغرب إلى القوقاز شرقاً، ويكثر وجودها في المناطق الساحلية، ومنطقة أسيا الصغرى. وطيور هذه السلالة مقيمة غير مهاجرة نظراً لاعتدال جو نطاق انتشارها الأصلي في فصل الشتاء.

ويذكر التميمي أن طيور هذه السلالات الثلاث من الشاهين، هي التي تقيم في بعض الدول العربية والمناطق القريبة منها، أو تهاجر إليها شتاء، حيث تصاد فيها. ويكون اصطياد الشواهين بشكل خاص في العراق وإيران وباكستان ومصر (١٩٩٢: ١٠٤).

ويمكن أن يلتبس الشاهين على البعد بطيور الصقر السنقر أو السنجاري في روسيا وشمالي أوروبا، وبطيور الصقر الحر في أواسط شرق أوروبا وجنوبي آسيا، ومع الوكري وشاهين المغرب (الشاهين البربري) في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وكل هذه الأنواع من الصقور تتشابه مع الشاهين في كونها

صقوراً صغيرة إلى متوسطة الحجم، وفي طرق طيرانها خصوصاً على البعد.

وطيران الشاهين دائماً انسيابي قوي. وهو يتحرك برشاقة في الأماكن الضيقة أو أثناء هبوطه خلف الفرائس، ولكنه يطير بثبات واندفاع في المسافات الطويلة، وأثناء رحلة الهجرة. وعندما يقوم بالصيد يخفق بجناحيه في سرعة وعمق، أما أثناء الطيران العادي فيطير بشكل أبطأ مع خفقات ضحلة بجناحيه لفترات، يتخللها بعض الانزلاق في الجو لمدد قصيرة. يبحث عن فرائسه وهو يحلق على ارتفاعات أعلى مما يحلق عليها أي نوع آخر من الصقور أثناء بحثها عن فرائسها، وعند عثوره على فرائسه، فإنه إما أن يندفع وراءها ليرغمها على الهبوط، أو ينحدر نحوها منقضاً بسرعة كبيرة، مع الاحتفاظ بجناحيه قريبين من جسمه وذنبه. ويمكن للشاهين أن يحلق عالياً وجناحاه مستويان مفرودان تماماً في خط مستقيم، كما يمكنه أن يتأرجح في طيرانه. وهو خبير في استخدامه لتيارات الهواء الصاعدة حيث يطفو فوقها بمهارة كبيرة. وهو صقر واسع الانتشار في المناطق المفتوحة، لكنه يحتاج إلى الجروف الجبلية للتكاثر. وهو مغرم بمناطق مصبات الأنهار، خلال فصل الشتاء.

يعيش الطائر (الشاهين) منفرداً إلا أنه قد يهاجر في أسراب صغيرة العدد. ويشكل وصوله داخل أي مجموعة من أنواع الطيور الأخرى إزعاجاً شديداً واضطراباً عظيما لها غير أن الغربان تطرده من بينها.

مواطنه وهجرته

ويعتبر نطاق انتشاره الطبيعي من أوسع نُطُق الانتشار، حيث يغطي من المناطق المدارية إلى المنطقة القطبية، بما فيها من مناطق اليابسة الجافة والمناطق البحرية الرطبة. ويحتاج إلى مناطق مفتوحة متسعة تشمل مناطق رطبة وبيئات ساحلية ليصطاد فيها. أما للتكاثر فيحتاج إلى جروف جبلية بشكل أساسي، أو إلى حيود الجروف وغيرها من الأماكن غير المطروقة، بما في ذلك المباني المرتفعة جداً مثل الأبراج، أو المهجورة مثل الأطلال. وفي بعض أجزاء من مناطق انتشاره، قد يتكاثر على الأشجار العالية، أو حتى على الأرض. ونظراً لقدرته الكبيرة على التكيف والتحرك فإنه يمكنه أن يتكاثر في أي مكان، إلا أنه يبتعد عن المناطق المنخفضة، التي تخلو من المواقع المناسبة للتعشيش، مثل الصحارى، والسهوب والسهول

المزروعة. كما يبتعد عادة عن أماكن نشاط الإنسان، وعن الغابات الكثيفة المتصلة، والمناطق ذات الغطاء النباتي الكثيف، والمساحات المائية المفتوحة.

وللشاهين طرق صيده واختياره لفرائسه التي ينفرد بها وتميزه عن الصقر السنقر أو السنجاري في المناطق القطبية، حيث يوجد الشاهين على المناطق الساحلية متناثراً، ولو أنه قد يمتد إلى بعض المناطق الجبلية المرتفعة، حيث يوجد على ارتفاع ٣٣٣٥متراً فوق سطح البحر في جورجيا بالاتحاد السوفيتي السابق، ولكنه يتركز بشكل رئيسي في أواسط وأسافل المناطق الجبلية، حتى ارتفاع حوالي ١٥٠٠متر فوق مستوى سطح البحر، في أواسط أوروبا. وفي بريطانيا يوجد على ارتفاعات تتراوح من ٢٥٠ إلى ٦٥٠ متراً فوق مستوى سطح البحر. ويعتمد في تحديد موقع عشه على مدى توافر الفرائس في المنطقة أكثر مما يعتمد على نوع البيئة المناسبة له.

والشاهين طائر مهاجر في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، ويزداد عدد الطيور المقيمة كلما اتجهنا غرباً وجنوباً، وطيور سلالة الشاهين الحقيقي أو الشاهين الأحمر، كما يسميه أهالي الخليج العربي، مقيمة تتكاثر في المنطقة المدارية والمنطقة تحت القطبية، إلا أن كثيراً منها خصوصاً الطيور اليافعة، التي لما تبلغ سن النضج الجنسي بعد، تنتشر في مدى واسع خلال فصلي الخريف والشتاء. وتلاحظ هذه التحركات الانتشارية خصوصاً في طيور منطقة فنلندا واسكانديناڤيا وشمالي روسيا، حيث تخلو المناطق الشمالية من الطيور تقريباً خلال فصل الشتاء. وفي غرب أوروبا تكون تحركاته في فصل الخريف في الاتجاه الجنوبي الغربي، أما في شرقي أوروبا فيكون الاتجاه إلى الجنوب والجنوب الشرقي. والطيور التي تهاجر من فنلندا واسكانديناڤيا في الشتاء تتوجه إلى الدانمرك، وسط غرب أوروبا، بريطانيا، فرنسا، وشبه جزيرة ايبيريا (أسبانيا والبرتغال). وتتجه بعض طيور فنلندا إلى دول البلطيق السوفيتية، ووسط شرق أوروبا، ودول البلقان. ويعني هذا أن طيور هذه السلالات تتحرك لمسافات مختلفة الطول في الخريف والشتاء، حيث يكون أطولها حوالي ١٠٠٠كم، بحيث يتداخل مع نطاق انتشار سلالة بروكاي، أي سلالة منطقة البحر الأبيض المتوسط وجنوب غربي آسيا. وقد وُجِدت الطيور التي جرى تحجيلها في دول شرق البلطيق، في المناطق المنخفضة غرباً في فرنسا وسويسرا. أما الطيور التي في

أواسط أوروبا فتتحرك إلى مسافات أقصر من ذلك، فمثلاً الطيور التي حجلت في بولندا وشرق ألمانيا، وجدت في فرنسا وبلاد التشيك وسلوفانيا. ومعظم الذكور البالغة لهذه السلالة غير مهاجرة بل مقيمة لا تتحرك إلى مسافات بعيدة شتاءً. وفي المناطق الواقعة جنوب وغرب أوروبا في أيرلندا وبريطانيا وفرنسا وسويسرا لا تهاجر الطيور البالغة، وتتحرك الطيور اليافعة لمسافة لا تزيد عن ٢٠٠كم من موقع العش الذي نشأت فيه. وهناك بعض الاستثناءات لذلك، فقد لوحظ أن أحد الطيور اليافعة قد هاجر لمسافة ٨٥٠ كيلومتراً من سويسرا إلى المجر، وأن طائراً آخر قد تحرك لمسافة ٧١٠كم من اسكتلندا إلى إيرلندا.

ويبدأ التحرك في فصل الخريف من شهر أغسطس إلى أوائل شهر نوفمبر، وتكون العودة إلى مناطق التزاوج، خلال فصل الربيع، من أوائل شهر مارس إلى أوائل شهر مايو.

وطيور السلالة بروكاي، التي تتكاثر في منطقة البحر الأبيض المتوسط وجنوب غربي آسيا، مقيمة غير مهاجرة. وقد تنتشر طيورها أثناء الخريف والشتاء إلى مسافات قصيرة جداً. وهناك عدد صغير من طيور هذه السلالة، يمر عبر مضيق جبل طارق وقناة جزيرة سيشل إلى تونس. وطيور جنوب غربي آسيا، التي تعيش في القوقاز، ربما تهبط شتاء من الجبال المرتفعة إلى السهول، إلا أن الكثير منها يبقى في الجبال طوال العام.

وطيور السلالة الثالثة كاليدس، التي تتكاثر شمال اسكاندينافيا وروسيا، مهاجرة، تقضي الشتاء في منطقة تمتد من شرق ألمانيا وبولندا وأواسط روسيا إلى جنوب أفريقيا. وتبدأ هجرتها في شهري سبتمبر وأكتوبر، وتعود في أواخر شهر مارس وأوائل شهر إبريل. وقد وجدت طيور هذه السلالة في الشتاء في منطقة جنوب بحر قزوين. والبعض منها يعبر البحر الأبيض المتوسط، حيث وجدت بعض الطيور في جزيرة مالطا، وشبه جزيرة سيناء، وفي الجزء الشرقي من قارة أفريقيا، من السودان حتى جنوب أفريقيا. وتدل بعض الدراسات على أن معظم الإناث تفضل قضاء شهور الشتاء في أوروبا، وتفضل معظم الذكور قضاءها في أفريقيا.

سلوكه الاجتماعي

والشاهين طائر يفضل المعيشة منفرداً. يتخذ له أنثى واحدة في فصل التزاوج،

ويظل معها طـول فصل التزاوج. وفي حالات نادرة وجد الذكر وقد اتخذ لنفسه انثيـين في العش نـفسه، وفي حالات أخرى أيضاً نادرة، اتخذ الذكر أكثر من أنثى، كلا منها في عش مستقل. يتزاوج الطائر عند عمر سنتين، وهو سن النضج الجنسي. وقد تنضج بعض الإناث عند سن عام واحد، وتتزاوج وتتكاثر. وكثير من الإناث اليافعة، التي لم تبلغ النضج الجنسي بعـد، تتزاوج مع ذكور بالغة، لكنهـا لا تتكاثر. أما الذكـور فعادة لا تتزاوج إلا بعد البلوغ في عمر سنتين. وقد يظل الزوجان مـعاً عاماً بعد عام، وقد يظل الزوجان معاً طول الحياة، إلا أنه إذا مات أحد الـزوجين اتخذ الآخر زوجاً بـديلاً. ويخـتلف الـزمن الذي يحدث فيه ذلك، حيث يتراوح من أسبوع إلى عدة أسابيع. وأحياناً لا يحدث ذلك إلا في موسم التزاوج التالي. وفي أحيان قلـيلة يـحدث ذلك فـي غضون عـدة ساعات فـقط. ويحدث الارتـباط بين الزوجين في منطقة التعشيش أو السيادة مبكراً أثناء العام، وأحيـاناً متأخراً حتى أواخر شهر مارس وأوائل شهر إبريل، أي قبل وضع البيض بفترة قصيرة.

التـعشيش والـتزاوج. يختـار موقع التعشيش ومنطقة السيادة واحتلالها، أو إعادة احتلالهـا مبكراً في أوائل العام، أحد الزوجـين أو هما معـاً. أما طيور السلالة غير المهاجرة، فيظل أحد الزوجين عادة على صلة أقوى بموقع العش أكثر من الزوج الأخر. وغالباً يكون ذلك هو الذكر، الذي يـسرع فيحتل الموقع، أو يعيد احتـلاله في بداية العام. وكذلك السلالات المهاجرة، يـكون الذكر أيضاً هو الـذي يأتي أولاً إلـى موقع العـش فيحتله، وأحياناً تكون الأنـثى هي التي تأتي أولاً. ويقوم الذكـر، بعد احتلاله لموقع العش، بطرد الذكور الأخرى التي تفد إلى المنطقة، لكنه يستجيب لأي أنثى تأتي، ويبدي استعداده للـتزاوج معها، وذلك باستـعراض تحليقي، مصـحوب بنـداءات إغراء ورغبـة في أن تشـاركه احتلال الموقع. حيث يقوم بطلعات طيران قصيرة من حيـد جرف إلى حيد جرف آخر، وهكذا جيئة وذهاباً، من دون أن يبقى إلا فترة قصيرة جداً في أي منهما، وهو يطلق صيحات الرغبة في أن تشاركه التعشيش. أما الأنثى المنفردة التي تحتل الموقع أولاً فلا تقوم بمثل هذا الاستعراض لجذب الذكر. وقد يقبل كل من الـذكر أو الأنثى المنفردين، أي أنثى أو ذكر آخر، يفد إلى موقع العش، ويبدي رغبته في المشاركة في التعشيش والتزاوج، وذلك

لفترة من الوقت فقط حتى إذا وفد الزوج الأصلي إلى موقع العش فإنه يطردها أو تطرده خارجه.

ويقوم الزوجان بالاستعراضات الغزلية الهوائية كل عام في بداية موسم التزاوج، حتى ولو ظل كل منهما يرى الآخر، وحافظ على صلته به طول العام. والاستعراضات الغزلية التي يقوم بها الشاهين كثيرة متنوعة معقدة معبرة عن رغبة الزوجين في التكامل والتزاوج. ويقوم الذكر، نظراً لصغر حجمه وقلة وزنه، بنصيب أكبر من هذه الاستعراضات، التي تتطلب قدراً كبيراً من خفة الحركة والرشاقة. وتشمل الاستعراضات الغزلية الهوائية ما سبق وصفه مثل الطيران المتعرج، الطيران على شكل حرف Z والتحليق عالياً في دوائر، والملاعبة الهوائية التي هي أصلاً مدفوعة بالرغبة الجنسية. ويقوم الذكر بممارسة الطيران المتعرج بينما الأنثى تراقبه من مجثمها، أو تقوم بالطيران التحليقي في دوائر في نفس الوقت، حيث تلحق الذكر أحياناً وتشاركه الطيران في دوائر، وفي الملاعبة الهوائية مع إصدارها صيحات نداء متكررة. ويعود الزوجان إلى الجرف الذي يوجد عليه موقع العش ويقومان باستعراضات طيران منخفض وملاقاة بالمناقير (قبلات هوائية) وإطعام غزلي، وطقوس الجماع. وكل هذه الأنشطة من شأنها تعزيز أواصر العلاقة بين الزوجين قبل وضع البيض. وقد تبدأ المغازلة بشكل مخفف من وقت مبكر، بعد أن تغادر الصغار العش وتستقل بنفسها مباشرة، وتستمر بذلك الشكل المخفف طيلة فصل الشتاء. وفي هذه الحالة قد يبدأ الزوجان ممارسة عملية الجماع مبكراً جداً في شهر يناير. ويقوم الزوجان عادة بتكرار الجثوم والمبيت في موقع العش، أو في موقع جثومهما المفضل لديهما، مما يدل على قوة أواصر الصلة الزوجية بينهما. وقد يترك الذكر والأنثى بينهما مسافة في أول الأمر، لكنهما لا يلبثان أن يجثما متلاصقين. كما أنهما في أول الأمر قد ينطلقان للصيد منفردين، لكنهما بعد ذلك يشتركان في صيد الفريسة نفسها معاً.

وهناك طقوس للتحية، يقوم بها الزوجان عند تلاقيهما، مبكراً في أول موسم التزاوج. حيث يقوم الطائر المنفرد، المنتظر في موقع التعشيش، بإصدار صيحات ترحيب وتحية، عندما يرى الزوج الآخر، مقبلاً عليه. ويقف الزوجان قريبين أحدهما من الآخر وهما يتبادلان الصيحات، ورأساهما منخفضان

عن مستوى الجسم. ويتكرر ذلك المشهد عدة مرات طوال موسم التزاوج، ثم يقوم الزوجان معاً، ولا سيما الذكر، باستعراضات العش أثناء وقوفهما فوق الحفرة الضحلة التي أعدتها الأنثى لوضع البيض. ويكون استعراض العش عند الذكر أكثر تعقيداً منه عند الأنثى، حيث يطلق الذكر صيحات خشنة متكررة، وهو يقترب من العش، وقد اتخذ جسمه وضعاً أفقياً، ورأسه منخفض إلى أسفل، حيث يمشي على أطراف أصابعه إلى أن يستقر داخل حفرة العش، ويقف رافعاً جسمه عالياً على رجليه، وقد اتخذ جسمه وضعاً أفقياً أو مائلاً إلى الأمام، وقد انتصب ريش كواسي الذيل، وكذلك ريش البطن. ثم يبدأ في أداء استعراضه بنشاط مكثف، حيث ينحني إلى الأمام، ويدور حول نفسه، ويكرر ذلك لمدة من ٥ إلى ١٠ ثوان، وهو يطلق صيحته الندائية العالية الخشنة، ثم يتوقف وينظر مليا إلى الأنثى، ويعاود استعراضه مرة أخرى، ويهدأ وينظر إلى الأنثى، حتى تستجيب الأنثى، وتبدأ تستعرض بالطريقة نفسها، ولكن بدرجة أقل من النشاط، ثم تتوقف وتنظر إلى الذكر، فيزيد ذلك من شعلة نشاطه، ويستعرض باندفاع أكبر، وهما يتبادلان إطلاق الصيحات العالية. وتتوقف الأنثى عن استعراضها، وتأخذ في تعميق حفرة العش، بأن تجلس فيها على بطنها وصدرها، وتتحرك حركات دائرية متعاكسة الاتجاهين، ضاغطة بقدميها على الأرض، وتحركهما مع جسمها لتعميق الحفرة. وتغير وضعها من وقت إلى آخر. كما تأخذ وضع حضانة البيض وتهز جسمها إلى الأمام والخلف، وذلك قبل وضع البيض بحوالي خمسة أيام فقط. ويطير الزوجان فوق العش متقاربين ويتلامسان بمنقاريهما حيث يلوي كل منهما عنقه، وخاصة الأنثى، إلى جهة الآخر ويتلامسان بالمنقارين، ويكون رأس الأنثى عادة في وضع منخفض ومنقارها متجه إلى أعلى، بينما يكون رأس الذكر متجهاً إلى أسفل ويتلاقى منقاراهما، كما يتلامسان بأقدامهما، ويسوي كل منهما ريش الآخر بمنقاره، خصوصاً كواسي الجناح، أو يمسح بمنقاره على جسم الآخر في حنو وشوق.

وفي هذه الأثناء التي يتم فيها استعراضات موقع العش، تبدأ عملية قيام الذكر بإطعام الأنثى، ويتدرج الذكر في ذلك، حتى يقوم بإحضار كامل طعامها لها. وفي البداية يحضر الذكر الفريسة ويتردد في تسليمها إلى الأنثى،

ويحاول ادخارها لها، فتحضه على تسليمها الفريسة، أو تسلبها منه بالقوة، ولا يلبث بعد ذلك أن يأتي لها بالفرائس طائعاً مختاراً، وذلك بأن يسقطها من ارتفاع منخفض فوق العش، أو يهبط بها ويضعها في العش، أو يسلمها لها بشكل مباشر. وأحياناً تخرج الأنثى للقاء الذكر، عندما ترقبه قادماً يحمل إليها الفريسة، فتطير في اتجاهه، وتتسلم منه الفريسة، إما في الهواء بأن يعلو عنها ويسقطها لها فتلتقطها، أو ينقلها من مخالبه إلى منقاره، ويسلمها لها في منقارها، وهما يطيران، أو تنقلب الأنثى على ظهرها، وهي تطير أسفل من الذكر، وتأخذ الفريسة بمخالبها من مخالبه. وتسلم الفريسة من منقار الذكر إلى منقار الأنثى، يحدث أكثر ما يحدث في العش، حيث يصل الذكر حاملاً الفريسة في مخالبه إلى العش، وأثناء هبوطه فيه ينقل الفريسة من مخالبه إلى منقاره ويقف وينحني أمام الأنثى عدة انحناءات متكررة تحية لها، ثم يمشي في اتجاهها على أطراف أصابعه ويقدم لها الفريسة، فتتناولها منه بمنقارها. وقد تقترب منه الأنثى بسرعة أثناء تقدمه إليها، وتأخذ منه الفريسة، أو قد تطلق صيحة عدوانية قوية، وهي تنزع الفريسة من

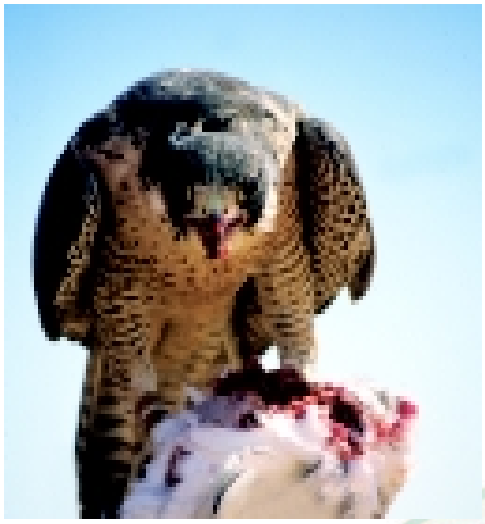

إذا توافر الحمام في البيئة كان الفريسة الرئيسية للشياهين

منقاره آمرة له بالانصراف فينصرف بسرعة، تاركاً العش لها. وأحياناً يقوم الذكر بنزع ريش الفريسة عنها قبل تسليمها إلى الأنثى، ويقوم بعملية نزع الريش بنشاط واهتمام.

وتقوم الأنثى بحث الذكر على جلب الفرائس، بأن تقف أمامه في وضع أفقي، ورأسها منخفض إلى أسفل، ثم تطلق صيحات معينة لطلب الطعام. وقد تفعل ذلك وهي في العش، أو وهي في مجثمها خارج العش. وعندما يعود الذكر حاملاً الفريسة فإنه، حين يقترب من العش، يطلق صيحات إحضار الطعام لتستعد لملاقاته، كما يطلق صيحات أخرى يعلن بها عن وصوله، وتطلق

الأنثى بدورها صيحات الاستجابة والترحيب به، وهي تخرج لملاقاته وتستلم الفريسة منه. ويطلقان سوياً صيحات تسليم الفريسة وتسلمها، أثناء قيامهما بهذه العملية. وكثيراً ما تطلب الأنثى من الذكر تسليمها الفريسة، وهما محلقان، وذلك أثناء فترة المغازلة قبل وضع البيض، وأيضاً بعد نمو الصغار وأثناء قيامها بإطعامها في العش. وتطلب الأنثى ذلك من الذكر، فتطير بطريقة طيران معينة تدل على رغبتها، وذلك بأن تطير إليه ببطء وقد شدت جناحيها على شكل قوسين متجهين إلى أسفل، وذيلها مفتوح بشكل مروحي وموجه إلى أسفل، وضربات جناحيها منخفضة بحيث لا ترتفع عن المستوى الأفقي، وهي تطلق صيحات خاصة.

وتبدأ استعراضات طلب الجماع من أيٍّ من الزوجين، بعد مرور حوالي شهرين على بداية فترة المغازلة والاستعراضات الغزلية الهوائية، أي قبل وضع البيض بحوالي ثلاثة أسابيع. ولا تكتمل محاولاتهما للجماع في الأيام الأولى، وتنجح المحاولات قبل وضع البيض بنحو أسبوعين. ويحدث الجماع من مرتين إلى ثلاث مرات في الساعة خلال فترة ذروة نشاطهما، وقد تزداد إلى ثلاث أو أربع مرات في الساعة خلال الأسبوع الأخير قبل وضع البيض. ويصل النشاط إلى أقصاه في يوم وضع البيضة الثانية، ويتوقف فجأة بعد أن تضع الأنثى البيضة الثالثة. ويتم الجماع بناء على رغبة يبديها أي من الزوجين، ويمكن أن يحدث في أي وقت من اليوم، ولكن أكثر ما يحدث خلال أول ساعة من ساعات النهار، أو حول منتصف النهار. وقد يسبق طلب الجماع قيام الزوجين باستعراض طيران هوائي، أو باستعراض فوق العش أو يقوم الذكر بإطعام الأنثى، ثم تبدأ طقوس الجماع.

فإذا كانت الأنثى هي التي طلبت الجماع، فإنها تطلق صيحة عالية خشنة كالصهيل بينما يأخذ جسمها الوضع الأفقي، والرأس منخفض إلى أسفل، ويكون الذكر عادة على مسافة منها، أما إذا كان قريباً منها، فإن هذه الخطوة الأولى قد تلغى، وبعد اتخاذها الوضع الأفقي للجسم، والرأس منخفض إلى أسفل، والذيل في وضع أفقي مع الجسم، وريش البطن منتصب، تصدر صيحة عالية كالصهيل، وتكون إما واقفة بجانب الذكر أو أمامه مستدبرة إياه. وتستغرق هذه الخطوة حوالي نصف دقيقة، وربما تقوم بعمل عدة انحناءات

بجسمها إلى الأمام بشكل متتابع نشط تنتهي بارتجاف الجسم وانحنائها إلى الأمام، ثم تعود إلى وضعها الأصلي السابق. وربما تتحرك الأنثى إلى الأمام، وقد فردت ذيلها وأخذت تحركه إلى أعلى وإلى أسفل، ثم تطير إلى الذكر الجاثم وتدفعه إلى الطيران لينزل فوقها ويمتطيها، حيث تتم عملية الجماع.

أما إذا كان طلب الجماع من الذكر، فإنه يقف في مواجهة الأنثى وقد اتخذ جسمه الوضع الأفقي ذا الرأس المنخفض، أو قد يدلي جناحيه إلى الأسفل إعلانا عن رغبته، وقد يقف بحيث يكون جسمه في وضع رأسي، ويخفض رأسه مهدداً لها لتبدأ بالرضوخ، ثم يقوم بعمل عدة انحناءات متكررة من أعلى إلى أسفل، مع التأرجح يمينا ويساراً، ويطلق صيحة شقشقة حادة يكررها عدة مرات، ثم يقترب من الأنثى في طيران بطيء. وعندما تشعر الأنثى بأنه سيطير إليها، فإنها تتهيأ لاستقباله فترخي ريش بطنها وتربض، وتميل بجسمها إلى الأمام قليلاً، وترفع ذيلها إلى أعلى جانبياً استعداد للجماع. وحين يمتطيها الذكر ويعلو ظهرها، فإنها ترفع جناحيها المضمومين قليلاً وتضغط بصدرها على الأرض، لتتحمل ثقل الذكر أثناء الجماع، وتصدر صيحات خافتة خاصة تشبه العويل. وأثناء قيامها بعملية الجماع، يغير الذكر صيحته من الشقشقة إلى صيحة ذات صرير وهو يرفرف بجناحيه، وقد اتخذ وضعاً قائماً وعنقه مقوس ومخالبه ضاغطة عليها في قبضة متسيّبة ورجلاه مشدودتان. وبعد إتمام عملية الجماع مباشرة يطير الذكر من فوقها طيراناً بطيئاً، وتقوم الأنثى لتسوي ريشها وجسمها يرتجف.

وتضع الأنثى البيض خلال الفترة من منتصف شهر مارس إلى آخره، في غرب وأواسط أوروبا، وتتأخر عن ذلك بحوالي أسبوعين في المناطق الشمالية. وتتخذ عشها في حفرة ضحلة تحفرها بجسمها وأقدامها، على جرف جبل أو على حيد جرف، أو صخرة ناتئة مرتفعة، أو على إفريز مبنى مرتفع، أو برج عال أو مدخنة، أو في بعض الأطلال الخربة، وقليلاً ما تجعله في قمة شجرة عالية. ومن بين ١٥٥ عشا موجودة على جروف جبلية في بريطانيا، كان ٩٤ عشاً جديداً منها على الجرف حفرته الأنثى بنفسها، ٥٩ عشا قديماً لنوعين من الغربان، وعشان قديمان لنوع آخر من الصقور. وحيد الجرف الذي يتخذ الشاهين عشه عليه حفرة عمقها حوالي ٤٥سم على

الأقل، وقد تكون أعمق من ذلك. ويستخدم الشاهين عشه القديم عاماً بعد عام، وأحياناً يتخذ الزوجان لنفسيهما من ٢ إلى ٤ أعشاش يراوحان بينها، ربما يبعد أحدها عن الآخر بمسافة ٤,٦كم. أما العش نفسه فهو حفرة ضحلة، أو منخفض طبيعي في الأرض، أو بقايا عش قديم.

الاستعراض الغزلي. ويحدث الاستعراض الغزلي للطائر في منطقة التعشيش فقط، بالقرب من موقع العش المختار في أوائل الربيع، أو أبكر من ذلك. وقد يجري الاستعراض الغزلي أحد الزوجين فقط، الذكر أو الأنثى، أو هما معاً. ويحدث الاستعراض الفردي أساساً الذكر، ويشمل التحليق عالياً في دوائر، الطيران في خطوط متعرجة، والطيران في مسار على شكل رقم ٨. أما التحليق الزوجي، فيشمل التحليق عالياً في دوائر، والملاعبة في الهواء.

وفي حالة الطيران الفردي، يحلق الذكر عالياً في مسارات حلزونية محوّماً، وجناحاه ثابتان، وذنبه مفرود على شكل مروحي. وقد يطير صامتاً، أو يطلق صيحات التحليق والاستعراض، مكرراً إياها خصوصاً وهو يطير جيئة وذهاباً أمام سفح الجبل الذي يقع عليه العش. ويمكن أن يستمر هذا النوع من الاستعراض لمدة من ١٠ إلى ٢٠ دقيقة متصلة في المساء، قبل أن ينطلق الطائر بعيداً عن منطقة التعشيش. ومثل هذا النوع من الطيران الاستعراضي، قد يقوم به الذكر أيضاً قبل استهلال رحلة القنص. ويكون الطيران المتعرج، وغيره من أنواع الألعاب البهلوانية الهوائية، بسرعة هائلة. ويشبه كلٌّ من الطيران المتعرج والطيران الأنشوطي (على شكل أنشوطة) طريقة الطيران التي يطير بها الصقر السنقر أو السنجاري بشكل عام. وتشمل مناورات هذا النوع من الطيران التحليق عالياً في الهواء ثم الهبوط المفاجئ غوصاً إلى أسفل ثم الصعود اندفاعاً إلى أعلى بزاوية حادة في طريق متعرج، متقلباً على جانبيه من جانب إلى آخر أو ظهراً لبطن وهكذا، ويكمل عقد الأنشوطة وجناحاه يكادان يكونان مضمومين إلى جانبيه، أو نصف مضمومين مع الرفرفة بهما بسرعة عالية، وربما يتبع ذلك بالغوص إلى أسفل وأنفه متجه إلى الأرض، من مستوى تحليق عال. وتساعده الرياح النشطة على تكثيف تحركاته الاستعراضية، وزيادة سرعته.

وهناك نوع من الطيران المتعرج، يطلق عليه الطيران على شكل حرف

Z، ويبدأ عادة بالتحليق عالياً في الهواء، ثم يطير الطائر مستقيماً مسافة ٥٠ إلى ٣٠٠م، ثم يحوّل اتجاهه منقلباً على جانبيه، ويهبط بزاوية حادة هبوطاً سريعاً، ثم يطير مستقيماً مرة أخرى، ويقف على حيد جرف أو صخرة ناتئة، أو يعاود التحليق عالياً مرة أخرى وهكذا. وأثناء الطيران المتعرج، يبدو من الطائر سطحه الأعلى الداكن، بالتناوب مع سطحه السفلي الفاتح اللون، مما يجعله واضحاً للرؤية من مسافات بعيدة، وكثيراً ما يسبق الطيران المتعرج أو يتلوه نوع آخر من الطيران يسمى طيران الحميمق أو الصقر الحوّام، وفيه يستمر الطائر في الطيران مستقيماً لمسافة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠م، وجناحاه يخفقان بسرعة بطيئة، خفقات منتظمة قوية مبالغ فيها. أما في الطيران على شكل رقم٨ فإنه يبدأ طيرانه من موقع العش عادة بخفقان سريع من جناحيه، ثم يطير على شكل حرف ٨ في مستوى أفقي، بحيث يكاد يلامس صخور الجرف ببطنه أثناء طيرانه، ثم يعود إلى موقع العش، ويطلق صيحات نداء للأنثى.

أما في حالة الطيران الاستعراضي الزوجي فإن الزوجين يحلقان عالياً في الهواء، منطلقين بزاوية حادة إلى أعلى، ويطيران في دوائر، أحدهما حول الآخر. ولا يلبث أن يتحول هذا النوع من الطيران إلى ملاعبة طائرة معقدة الاتجاهات. مثل أن يغوص أحدهما باندفاع منحدراً فوق الزوج الآخر، ثم يغيران اتجاههما فجأة، ويصعدان إلى أعلى بسرعة، منقضاً كل منهما على الآخر بالتبادل، ثم يمران بالقرب من بعضهما غائصين مندفعين منقضين معاً، ثم يطارد أحدهما الآخر، وعندما يقترب منه يتقلب في الهواء ظهراً لبطن عدة مرات، ثم يتجه كل منهما ناحية الآخر، في طيران مستقيم بطيء مع رفرفة بطيئة قوية بالجناحين حتى يتقاربا، وبعد ذلك يغيران اتجاههما ويعودان، وعند التقائهما يتشابكان بالأرجل لفترة قصيرة، أو يتلامسان صدراً لصدر، أو منقاراً لمنقار، وهو ما يطلق عليه بعض علماء الطيور القبلة الهوائية. وفي إحدى هذه القبلات الهوائية، لوحظ أن الذكر يلاطف الأنثى بملامسة منقاره لمنقارها في الهواء أثناء تلاقيهما، وهما طائران، وقد تكرر ذلك عدة مرات، وفي إحداها طار الذكر تحت الأنثى، ولف عنقه وعكس وضع رأسه، بحيث أصبحت قمتها إلى أسفل ومنقاره إلى أعلى، وشبك منقاره بمنقارها للحظات، وهما يطيران سوياً. وقد يمثل

التحويم، الجناحان ثابتان والذنب مفرود

الذكر والأنثى، أثناء لعبهما الهوائي، عملية تسليم الفريسة من الذكر إلى الأنثى، حيث تنطلق الأنثى في اتجاه الذكر، وهي تطلق صيحات نقل الفريسة، ثم تقلل من سرعتها جداً، وتميل على جانبها، ثم تنقلب ظهراً لبطن، وترفع مخالبها إلى أعلى تحت مخالب الذكر، ثم ينفصلان، ويكرران هذا المشهد عدة مرات، قبل أن يطير الذكر بعيداً، وتعود الأنثى إلى موقع العش على الجرف أو الصخور. وهناك أنواع أخرى عديدة من الطيران الاستعراضي المعروفة للشاهين.

ويدافع الزوجان بشراسة كل من تسول له نفسه الاقتراب من موقع تعشيشهما وسيادتهما، سواء أكان من نفس النوع أم من نوع آخر من الطيور. ويشترك الزوجان عادة في الدفاع عن سيادتهما على المنطقة، فإذا لوحظ اقتراب طائر غريب من موقع العش، حتى في فترة ما قبل وضع البيض، فإن الزوج الموجود في المنطقة يهبّ لملاقاته، مُطلقاً صيحات إنذار وطرد. هذه الصيحات سرعان ما تجعل الزوج الآخر يأتي مسرعاً عندما يسمعها. وفي العادة يكتفي الطائر المتهجم بهذا الإنذار، ويولي هارباً. أما إذا أمعن في الاقتراب، فإن الزوجين يهاجمانه بشراسة، حيث يحلقان عالياً ثم يهبطان فجأة عليه، ويضربانه ضربة شديدة، وهما يطلقان صيحات غضب عالية. وكثيراً ما يتجنب الطائر المتهجم هذا الهجوم القوي، وينقلب ويغير اتجاهه، ويولى هارباً، أما إذا لم يفعل ذلك، فإن أحد الزوجين، وهي الأنثى عادة، تأتيه من أسفل منه، وتنقلب على ظهرها، وتمسك أقدامه بمخالبها بقوة، مما يجعلهما يقعان إلى الأرض سويا. وفي أثناء هبوطهما تعدل الأنثى من وضعها، بحيث يصبح ظهرها إلى أعلى والطائر الممسوك إلى أسفل، وقبل الوصول إلى الأرض، تتركه فجأة ليرتطم بالأرض، وتتهشم عظامه.

حضانة البيض ورعاية الفراخ. بيضة الشاهين ذات شكل بيضوي عريض،

وقشرتهـا غير لامعة، ذات لون أصـفر ضارب إلى البرتقالي، أو قشدي داكن، وهي مغطاة تقريباً ببقع حمر بـنية داكنة وحمر اللون، ومتوسط أبعادها ٤٢×٥٣ ملـيمتراً ومـتوسط وزنهـا من ٣٩ إلى ٤٦جم ويبلغ متوسط عدد البيض التي تضعه الأنثى في المجموعة الأولى من ٣ إلى ٤ بيضات، ويمكنها أن تضع مجموعة أخرى من البيض، إن فُقِدت المجموعة الأولى. وتصل الفترة بين وضع البيضة، والتي تـليها مـن ٢ إلى ٣ أيام، ومدة حضانة البـيض من ٢٩ إلى ٣٢ يوماً. ويتولى كـل من الأنثى والذكر حضانـة البيض، لكن الأنثى تقوم بالدور الأقل في ذلك أثناء النهار، وربما تقضي الليل كله أيضاً في حضانة البيض. ويحضن الذكر البـيض بنسبة من ١٦ إلـى ٢٥٪ من وقت النهار، وأقـصى نسبة قضاها في حضـانة البيض هـي ثلث النـهار. ويفقـس البيض تقريـباً بعكس تـرتيب وضعه، مبـتدئاً من البيضـة الأخيرة أو التي قبلها مباشرة. ويعتني كل من الأنثى والذكر بالصغار، إلا أن الأنثى هي التي تقوم أسـاساً برعايتهـا وحمايتهـا وهي صغـيرة، خاصـة خلال الأيام الثـلاثة الأولى، حيث ترعاها لمدة ١١ يوماً في المتـوسط، بمـعدل ٨٠٪ من الـوقت، و٦٠٪ من الوقت حتى عمر ١٥ يوماً، ثم ٥٠٪ من الوقت حتى عمر ١٧ يوماً، وأقل من ١٠٪ من الـوقت بعد ذلك. وقد يقوم الذكر بحـماية الصغار عندما تكبر نوعاً ما، خلال الجو السيئ، وتقوم الأنثى بمفـردها برعاية الصـغار إذا فقد الذكر.

ويكون الدور الأسـاسي للذكر هو إحضار الطعام للأنثى وللصغار، حيث تقوم الأنثى بـتمزيق الفريسة وإطعامـها للصغار، ونادراً ما يبقى الذكر في العش أثناء رعاية الأنثى للـصغار في أعمارها الأولى، إلا أنه قد يقوم برعاية الصغار كلية في حالـة فقد الأنثى. وفي العادة يأخذ الذكر دوراً أكبر في رعاية الصغار إذا كانت الأنـثى حديثة الـسن، قليـلة الخبرة. ويتجنب الذكر منطقة العش في الأيام الأولى بعد الفقس، ويأخذ دوره الأكبر في رعايـة الصغار بعد وصولهـا سن ٣٠ يوماً، حيث يقوم بحمايتها أثناء فترة مغادرة الأنثى للعش للصيد، إذ إنها تتولى عملية الصيد عادة في المنطقة القريبة المحيطـة بالعش. وتطعـم الأم الصغار بتلقيمها قطع لحم ممزقة من الفريسة في أفواهها، حيث تعطي كل فرخ منها من ٨ إلى ١٠ قطع متتالية حتى يمتـليء ثم تنتقل إلى الفرخ التالي وهكذا. وقد يقوم

الذكر في أحيان قليلة، بإطعام الصغار بنفسه. ويستمر إطعام الأم للصغار رغم أنها تستطيع أن تطعم نفسها من الفريسة عند سن ٣ أسابيع، وقد يستمر إطعام الأبوين للصغار حتى بعد إنبات ريشها. ويبدو أن الأم تبدأ بإطعام الفرخ الأكبر حجماً وسناً منها أولاً.

ولا توجد أي دلائل على وقوع أي عدوان بين الصغار بعضها على بعض، أو بينها وبين الأبوين، حتى بعد إنبات ريشها، بل قد يأخذ أحدها الطعام من منقار الآخر بتسامح كامل. ويحمي كل من الأبوين الصغار من أشعة الشمس المباشرة، ومن البرد والمطر والجو السيئ. وقد تنقلها الأم حاملة إياها بمنقارها من عش إلى آخر، حماية لها من عدو يقترب أو خطر يتهددها. وبعد إنبات ريش الصغار قد يحدد الأبوان لكل منها موقعاً خاصاً يبقى فيه، ويحمل إليه الأبوان الفرائس في موقعه. وعندما يكبر الفرخ ويستطيع الطيران يلقي إليه الأبوان بالفريسة وهما طائران، ليلتقطها في الهواء. وعند خروج الصغار للصيد مستقلة بنفسها يراقبها الذكر عادة من بُعْد ليقدم لها المساعدة عند الحاجة، حتى يطمئن على سلامة أدائها وقدرتها على الصيد المستقل. وكثيراً ما يحمل أي من الأبوين الفريسة، ويقترب بها من موقع الصغير، ويصيح ليدعوه إلى ملاقاته فيطير إليه، وينقلب الأب على ظهره تحت الصغير، ليتسلم منه الفريسة مخلباً إلى مخلب، أو يطير فيسبقه ويلقي بالفريسة في الهواء ليلتقطها الصغير، فإن لم ينجح في التقاطها هبط الأب بسرعة ولحقها، وأعاد عليه التدريب مرة أخرى حتى ينجح في أخذها.

والفراخ الصغيرة بعد إنبات ريشها، وخصوصاً الذكور منها، كثيراً ما تطير حول العش لملاعبة بعضها بعضا. وعندما تكبر قليلاً، تخرج حول العش وتطير مقلدة الأبوين في القيام بعملية الصيد، حيث ينحدر الواحد منها على الآخر حتى يلمسه بمخالبه ويبتعد عنه. كما تقوم أحياناً بسلب فراخ الأنواع الأخرى من أعشاشها والاستيلاء عليها، أو تقتنص الطيور الصغيرة الجاثمة على فروع الأشجار، أو على مكان عال، أو حتى وهي طائرة في الهواء.

وينبت ريش الصغار في عمر من ٣٥ إلى ٤٢ يوماً، وتصبح مستقلة بنفسها قادرة على الطيران الحر والصيد لنفسها بعد مرور شهرين أو أكثر على إنبات ريشها. وتتزاوج عادة عند بلوغها عمر سنتين.

ذكره في مأثور القول والأدب

أورد القلقشندي ما يكتب مع إرسال شاهين فقال «وقد وجه إليه بشاهين إذا حلق وراء الطير شاهت به الوجوه، وشاهدت الآمال به ما ترجوه. قد أصبح كل محلق الجناح رهين يده، وكل سارب من الوحش طعام يومه أو غده. لا يتعبه خلف الطريدة بُعْد المدى، ولا يرده خوف مسافةٍ ولا تقحم ردى. ربيَّه عام لم يمتع بطولٍ ما دهر، وممتده منه في الطلق مثل ريح سليمان غدوها شهر، ورواحها شهر».

وقال الناشئ الأكبر من طردية بالشاهين:

هل لك ياقناص في شاهين ... واف كشطر الحاجب المقرون

شوذانق مؤدب أمين ... منعطف مثل انعطاف النون

جاء به السائس من رزين ... شوذانق: لفظ فارسي معرب معناه الشاهين، ورزين: اسم موضع، قرطق: لفظ فارسي معرب معناه الثوب، الشكة: السلاح، الموضون: المحكم، الغضون: كل تثنى بالثوب، المؤلل: المحدد.

ضراه بالتحسين والتليين ... وقال كشاجم في الشاهين:

حتى لأغناه عن التلقين ... مؤدب الإطلاق والإمساك

يكاد للتثقيف والتمرين ... ملمم الهامة كالمداك

يعرف معنى الوحي بالجفون ... مثل الكمي في السلاح الشاكي

فظل من جناحه المزين ... ذي منسر ضخم له شكاك

في قرطق من خزه الثمين ... ومخلب بحده بتاك

مفوف في نعمة ولين ... للحجب عن قلوبنا هتاك

وشكة كزرد موضون ... حتى إذا قلت له دراك

مضاعف بالنسج ذي غضون ... وحلقت تسمو إلى الأفلاك

ذي منسر مؤلل مسنون ... ممتدة الأعناق والأوراك

موقنة بعاجل الهلاك ... غادرها تهوي إلى الدكاك

أسرى بكفيه بلا فكاك ... ياغدوات الصيد ما أحلاك

ومنة الشاهين ما أقواك ... لم تكذبي فراسة الأملاك

إياك أعني مادحا إياك ... المداك: حجر يسحق عليه الطيب.

أما عبدالله بن المعتز فقد وصف الشاهين في إحدى طردياته. قال:

تـلمـع في مـنـقاره حـيـث سلـك
كـخـنجـر فـي كـف عـيار فـتـك
من ذي اختـطاف كفه مـلأى حسك
غـدا إلى الـدماء عـطـشان الحـنك
حـتـى إذا بـصـره لـم يمـتـسـك
يـتـركـه عـمـداً ولـلأخـذ تـرك
ثـم عـلا ثـم تـكـفـى وانـسـفـك
كـحـجـر الطـود إذا صـك هـتـك

العـيار: الرجـل الكثـير التطـواف والحركـة، الحسك: ثـمر الـنفل وهـو شوكي، يمتسك: لم يأخذ طريدته. وشبّه زهير بن أبي سـلمى فرسه في اندفاعه بانقضاض الشاهين على قطاة آمنة حيث قال:

جـونيـة كحـصاة الـقسـم مرتـعهـا
بالـسَّي ما يـنبت الـقفعـاء والحسك
أهـوى لهـا أسفـع الخديـن مـطرق
ريش القـوادم لم ينصـب له الشبك

الجونية: قطاة لونها أسود، وهي نوع من القطا أسرعـه، وحصاة القسم: إذا قل ماء المسافرين وضعوا حصاة في القدح وصبوا عليهـا الماء حتى يغمرها ليقسم بينهم الماء بالسوية، وهي مجتمعة ملساء فشبهـوا بها القطاة، والسي: مـوضع، والقـفعاء: بـقلة مـن أحرار الـبقول، والحسك: ثمر النفل يستخرج منه حب فيؤكل.

وفي الأدب الشعـبي شبهوا الركاب مـن الخيـل والإبل بـالشـاهـين سرعـة وانطلاقا. قال عبدالله بن حمود بن سبيل:

فالـى تعـلّوا فـوق مثـل الشـياهـين
صاروا عـلى بعـض النحايـا عقوبـه

النحايا: سكان بعض النواحي. وقال محسن بن علي التميمي:

مـا تنـلحـق ممشـاه تقـل انـحيـاش
تشـدى هدد شـيهـانةٍ صـف ريشـه

تقـل: كأنه، انـحيـاش: هروب، تشدى: تـشبه، هدد: انـطلاق. وقال خليفة أبو جري:

استـجنـبوا ياجـري مثل الـشيـاهين
يـتلـون قـطعـانٍ صخـافٍ مـهاوي

استجنبوا: قادوا خيولهم إلى جانب مطاياهم، يتلون: يتبعون. وقال عدوان الهربيد:

يـاعين يـشـبوبٍ ريـا بـامّ زقـلوب
أو عـين شـرقٍ بامّ الارسـان مـربـاه
عشـه بلـهبوب ورا سـبعة شـطوب
صفـق حدا الـضبّـان دونه ولا جـاه

اليـشبوب: ولـد الظبـي أكبر مـن الخشف، أم زقلوب: موضع، الشرق: نوع من الصقور، أم الأرسان: جبل إلى الشمال الغربي عن مدينة حائل به مأكر صقور أو مراب، لهبوب: اللهبوب هو السفح القائم الطويل الذي بأسفله تجويف

وانحناء من الجبل، الضبان: فخذ من شمر مشهورون باقتناص الصقور.

أورد السويداء في كتاب شعراء الجبل العاميين الجزء الثالث ما تواتر عن الرواة عن تلك الشاهين أنه على زمن سعدون بن عريعر حاكم الأحساء حوالي ١١٧٠هـ كان سعدون قد حمى روضة في منطقة الشمال لغرض القنص، وتوافرت فيها الحباري بأعداد كبيرة، وعندما ظهر للصيد فيها كان هناك خرب فاتك عجزت عنه صقور ابن عريعر، حيث يحول بين الصقر وما يريد من الحباري. فقيل له إنه لن يقضي على هذا الخرب غير شيهانة الضب، فأرسل إليه يطلب منه إحضارها، فأحضرها صاحبها، وكانت معيشة أهل الحي على ما تصيده تلك الشاهين يومياً من الصيد. وعندما حضر صاحب الشاهين وأحضرها معه ورآها سعدون بن عريعر، وهي صغيرة بقدر الكف المقبوضة لم يصدق أنها ستفعل شيئاً بالنسبة لذلك الخرب الكبير. وفي صباح اليوم الثاني أرسلوها في تلك الفيضة فتصدى لها الخرب كعادته، لكنها تركته، وحلقت في الجو حتى اختفت عن الأنظار، ثم أتت منقضة عليه مثل دوي رعد الصاعقة، وضربته على الأرض، فتمزق جسمه مزقاً، ثم ارتفعت ثانية وصادت صيدة أخرى،

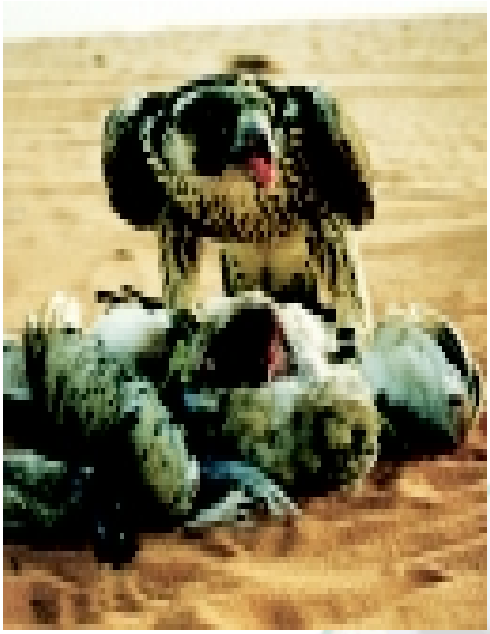

فرخ شاهين يفترس حبارى

وبذلك قضت على هذا الخرب، فطلبها سعدون من صاحبها فاعتذر إليه بقوله إن معيشة حيه على الله ثم على صيدها. وأهدى إليه أختها.

وقال أحمد بن محمد السديري:

يكفخ كفيخ موحّشٍ بالمسابيق
حرٍ يصرّم محكمات المرير

يكفخ: ينزع ويرفرف فيطير، موحش: الوحشي من الصقور، المسابيق: ما يربط به الصقر، المرير: المريرة نوع من الحبال يربط به الصقر.

وقال سليمان الطويل:

العين عين اللي براس الشذيبه
في ماكرٍ عسرٍ لها طيرت به

الشذيبه: الشذيبة أو الشذبة اللوح الواقف الشامخ من الجبل. وقال سليمان بن ناصر بن شريم:

ومن الولع يكفخ كما الطير مقضوب
والى طرى له طاريٍ ما حلا به

يكفخ: ينزع ويرفرف فيطير، مقضوب: ممسك.

وشبهوا عين المرأة بعين الشاهين. قال عبد الرحمن بن زيد السويداء:

عين شيهانٍ بوكرٍ له
ويترقّب غفلة الناس

وقال حمدان أبو شامه البلوي:

حرٍ شبك شيهانةٍ بالعناقير
واللي موبدها يدور بدلها
عاداتنا خز البكار المعاشير
والحر لى شاف الحباري فتلها

العناقير: رؤوس شماريخ الجبال، موبدها: متأكد من مكانها، خز: اختيار، لى شاف: إذا رأى، فتلها: أمسك بها ولواها. وقال خلف أبو زويد الشمري:

والعين عين اللي بروس العناقير
نجلٍ سواد عيونها مع رموشه

وقال عبدالعزيز عبدالله الجريفاني:

العين ياعين مدعيه
لى شافت الزول ملتمه

المدعيه: الشاهين، ملتمه: مجتمعة.

وقال عبدالله بن دهيثم الشمري:

على الذي عينه تقل عين جما
أو عين شيهان البحر عقب حومه

الجما: الظبي لا قرون له، عقب: بعد.

وقال عبدالله بن جابر:

شيهانةٍ بايسر الهفهوف
بالوصف ياناس وش كنه

وقال محمد بن دخيل الله الأزيمع المطيري:

يادقاق الزين يالمشخص الغالي
ياعيون اللي على الكف مدعيه

دقاق الزين: دقيق تقاسيم الجمال، المشخص: نوع من الجنيهات الذهبية الصافية. وقال حماد بن هندي التميمي:

العين عين موحشٍ شبكوا به
طيرة بحر ما تنزل الا النوازي

النوازي: المرتفعات.